الفصل الثالث

ضوابط التجديد مع الحفاظ

على الهوية الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

ضوابط التجديد مع الحفاظ على الهوية الإسلامية

لقد طرح المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مشروعا حضاريا لنهضة الأمة الإسلامية منذ ثلاث سنوات، وينطلق هذا المشروع من ضرورة تجديد الفكر والفقه الإسلامي؛ لمواكبة تطورات العصر الذى نعيش فيه، ونبذ الاختلاف والفرقة التى صارت السِّمة المميزة للمسلمين فى هذا العصر، كما يواجه هذا المشروع الظواهر السلبية المنتشرة فى العالم الإسلامى اليوم، مثل: ظاهرة التخلف، والكسل وإهمال العمل، وإهدار الوقت، وتحكيم الخرافات بمختلف شئونهم.

ومن الواضح من الأوراق الخاصة بمشروع النهضة أنه يعتمد على العودة إلى أصول ديننا، وتفهُّم القيم العليا التى يقوم عليها، والمبادئ والقواعد التى أرسى قواعدها نبينا محمد ﷺ، وتحكيم العقل، ونبذ الخرفات التى أثرت على تقدمنا بشكل كبير.

كما يعتمد هذا المشروع ضرورة الأخذ بالعلوم الحديثة، وتفجير طاقات البشر واستخدامها لتعويض التخلف العلمى الذى يحيط بالمسلمين فى مختلف طوائفهم.

ويواجه العالم الإسلامى خطرا كبيرا فى الوقت الحاضر يكاد يقتلع جذوره ويهمش الدور الذى يحياه الآن، ألا وهو خط العولمة، حيث يرى البعض أنها وضعت خاصة لمواجهة الإسلام والقضاء على أية نهضة يسعى المسلمون إلى تحقيقها فى ديارهم [1].

---

١ - رؤية رابطة الجامعات الإسلامية اللغوية، دراسة للدكتور جعفر عبد السلام، منشور فى كتاب الإسلام والعولمة، العدد رقم ١٠ من سلسلة فكر المواجهة التى تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤، ص ١١ وما بعدها

فالعولمة تعنى ببساطة إبدال القيم الدينية التى يعيش عليها المسلمون، وتنبع من أصول عقيدتهم وأحكام شريعتهم بقيم أخرى جديدة للنظام الدولى، على زعم أن المجتمع الدولى صار حقيقة واقعة، وأن التعاون والتضامن يجب أن يشيع بين كل الناس، بصرف النظر عن اختلاف ألوانهم أو التباين فى عقيدتهم. وتسعى العولمة إلى بث القيم المادية وإحلالها محل القيم المعنوية، كما تعنى الحياة وفقا للنظم والأسس التى تفرضها أمريكا وشعوبها على غيرها من الدول الآن.

ويشهد النظام الدولى العالمى تحولات [٢] نحو هيمنة النظام الأمريكى على باقى أنظمة العالم، وكذلك إخضاع الأنظمة السياسية والاقتصادية للمصالح الأمريكية، ولكى يتحقق ذلك، فلابد من تهميش الأنظمة الحضارية ذات الجذور الدينية، مثل: النظام الإسلامى؛ لكى تتهيأ الشعوب لقبول النموذج الأمريكى فى الحياة، باعتبار أنه أفضل النماذج التى عرفتها البشرية، وباعتبار أنه يمثل حضارة العصر الذى نحياه.

إن تجديد الفكر وتجديد وسائل الحياة وأساليب العمل أمر حيوى، لا يمكن أن يعيش الإنسان كريماً بدونه. إن الشمس تشرق كل يوم، ويخلق معها يوما جديدا وحياة جديدة، وما لم يقم الإنسان بجهد قوى وجماعى لمواجهة اليوم الجديد فإنه يموت.. يموت فكريا وعقليا ومعنويا، ولا يفعل شيئا يأبه به، وللأسف، فقد ظلت شعوبنا الإسلامية تنتظر ما يتغير فى الحياة، وما ينتج فيها بدون بذل جهد له قيمته من جانبها؛ لتواجه الواقع الجديد والحياة المتغيرة، مما أدخلها فى دائرة التخلف.

ولكننا نعيش الآن عصر الصحوة الإسلامية، وننفض عن أنفسنا غبار الكسل

---

٢ الإسلام والتفاعلات المعاصرة للقوى الدولية للمستشار محمد بدر المنياوى، منشور فى كتاب الإسلام والعولمة، نشر رابطة الجامعات الإسلامية سنة ٢٠٠٤م، ص ٤٦ وما بعدها.

والتخلف، وهذا المشروع الحضارى هو أحد البرامج التى يقدمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لنهضة الأمة.

مع ذلك فإن مشروع التجديد يجب أن يعتمد على ضوابط واضحة، فمن ناحية نجد أن الجزء الأكبر من تخلفنا يرجع إلى البعد عن أهداب ديننا، ونسيان ما يأمرنا الله أن نفعله لتنصلح أحوالنا وتستقيم أمورنا.. إن الإسلام دعوة عالمية أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ، وهى تقوم على ركائز أساسية لإسعاد البشر، والوصول بهم إلى بر الأمان.. يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾ «الإسراء».

القسم الأول

مواجهة العولمة بالتفكير العلمى

لعل أهم التحديات التى تواجه حياة الأمم الإسلامية الآن هو تحدى التخلف [٣]، وهذا التخلف يشمل مختلف صور حياتنا، ومن أوضح المجالات التى نلحظ فيها هذا التخلف هو مجال العلم والبحث العلمى بشكل عام، فرغم أن العالم يمر بالثورة الثالثة: - ثورة المعلوماتية - فإن معظم الدول الإسلامية لم تنل حظا وافرا من الثورتين: الصناعية، والتكنولوجية.. لا نعرف من العلوم الحديثة إلا القدر اليسير ولم نهضمها بعد، وإنما نردد بعض الأفكار عنها، ونحن ضيوف فيها على موائد الغرب إلى أكبر حد.

وتشير إحصائية حديثة إلى أن العالم الإسلامى يفقد يوميا قرابة الألف عالم، وهذا يعنى أن من يتعلم تعليما جيدا يفارقنا ويذهب إلى قوم آخرين فى إطار ما يعرف بظاهرة هجرة العقول.

ويجب أن نعترف أن البيئة التى نحياها حتى الآن لا تساعد على تكوين العالم، وإذا كونته فإنها لا تستطيع الحفاظ عليه.

إن البحث العلمى يسير فى أطر تقليدية لا تساعد على تكوين الباحث، إذ لا تنفق دولنا على البحوث العلمية إلا القدر اليسير، بل لا نبالغ إذا قلنا: إنها تخشى من العلماء؛ لأنهم - بالقطع - سيغيرون الكثير من النظم وأساليب الحياة وأصول الحكم فى الدول الإسلامية، ويقاس تقدم أى مجتمع الآن بما حزاه أفراده من

---

٣ راجع إعلان عمان الصادر عن المؤتمر العام لرابطة الجامعات الإسلامية فى عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية سنة ١٩٩٩م. ص ١١.

العلوم الحديثة؛ لذا لابد من تطوير التعليم فى كل دولنا الإسلامية، وهذا التطوير يحتاج إلى إرسال البعثات فى العلوم الحديثة، وليس فى العلوم الإسلامية أو فى علوم اللغة العربية كما يحدث الآن فى العديد من دولنا الإسلامية.

إن كل الدول الآن - حتى المتقدمة - تسعى إلى تطوير برامج التعليم فيها؛ لتواكب متغيرات العصر، ولتشجع النبوغ والإبداع، فلا شك أنه يوجد بداخل المجتمعات الإسلامية عناصر قوية لديها من الملكات والقدرات ما تستطيع أن تستوعب به العلوم الحديثة، وتطورها وتضيف إليها، ولكننا لم نتمكن حتى الآن من تشجيع النبوغ، ومن استخراج كنوز الأمة من البشر؛ لذا فيجب أن يتجه التجديد فى حياتنا إلى التنمية البشرية فى المحل الأول؛ لأنه ما لم يرتق الإنسان ويُعلَم جيداً، فلا أمل فى التنمية ولا أهمية للتجديد.

لذا كان التعليم والبحث العلمى هو المجال الأول الذى يجب أن يتناوله التجديد كما أوضحنا، ويجب أن يتناول التجديد كذلك التنمية البشرية، حتى يخرج لنا جيلاً مختلف الملامح، لا يغفر الأخطاء ولا يسامح، جيل يعرف الحق ويتبعه ولا يخاف فيه لومة لائم، جيل لا يأخذ من النفاق والزلفى أساساً للوصول إلى المناصب والمغانم، وكل هذا يحتاج إلى إعداد جيد وتدريب طويل على نمط أخلاقى مختلف.

كذلك إلى جانب تطوير التعليم وتنمية البشر، يجب أن يتجه تفكيرنا إلى إيجاد الأطر الشرعية والقانونية التى تزيل التحجُّر الذى واكب الفكر الإسلامى لفترة طويلة.

ولعلنى لا أرتكب خطأ إذا قلت إننا نحتاج إلى تجديد الفكر وتجديد الفقه.

تجديد الفكر:

يحتاج المسلم إلى تجديد الفكر الذى يعيش عليه، ولن يتسنى ذلك إلا بإيجاد مناخ ثقافى وفكرى جديد، إنك إذا جلست مع عشرة أشخاص فى نفس اليوم فلن

تسمع جديدا من أى منهم، ستجدهم يكررون نفس القول وغالبا ما يشكون لك من الحياة ومشاكلها، وإذا استمعت إلى عشرات المحطات التليفزيونية، فلن تجد جديدا تقدمه لك، ولن تجد محطة واحدة تحمل رسالة إعلامية تعبر عن عقل الجماهير ووجدانهم، وترفع من شأن علمهم وثقافتهم، إننا بالفعل نمر بمرحلة غريبة فى حياتنا الفكرية والثقافية، ونحتاج إلى التجديد بشكل قوى فى هذا المجال. لقد انتهى الصراع بين على ومعاوية منذ وقت طويل وآثر ورثة على سلامة الأمة، ووضع السلاح حتى لا تظل الدماء تسفك وحتى ينتهى الخلاف. ولكن الفكر الإسلامى لا يزال يحمل آثار تلك الأزمة، ولايزال الصراع الفكرى بين الشيعة والسنة يعرقنا فى الأوحال حتى الآن، ونحتاج إلى التقارب والوحدة، نحتاج إلى من يقول لهؤلاء المتصارعين كفوا فلقد أنقذكم الله من هذا الصراع وكان له من ذاقوا وباله فى الماضى فلماذا نجدد الخلاف والصراع الآن؟

كذلك شهدت الدولة الإسلامية منذ وقت مبكر صراعا مؤذيا حول قضية خلق القرآن، وانتهى هذا الخلاف الذى لا فائدة منه إلى غير رجعة، ومع ذلك لا تزال خلافات فكرية تحيط بنا من جراء هذه القضية.

قضايا كثيرة خلافية يجب أن ننحيها جانبا من حياتنا الآن، وبدلا من ذلك يجب أن نحدد معالم الفكر الجديد الذى يواكب النهضة التى تعيش فيها الشعوب الأخرى الآن.

إننا نحتاج إلى نقاش فكرى يحدد أفضل الأساليب التى يجب أن نحكم وفقا لها بما يستحث إرادة الناس، ويجعلهم يشاركون فى قضايا مجتمعهم، ويسيرون أمورهم بأنفسهم، نحتاج إلى وضع أسس للحكومة الإسلامية، ولإعادة العلاقة بين الحاكم والمحكوم لتكون فى أفضل صورها، وليشعر كل مواطن بالولاء لدولته، دون أن نتصارع حول الخلافة من قريش، والأئمة الذين يجب أن يكون الحكم والسيادة

في أيديهم، فقد ولى هذا الزمن وتجاوزته كل أنظمة الحكم في هذا الكون. إننا نحتاج إلى إعادة بعث لنظامنا السياسي والاجتماعي لينهي الخلافات التي مزقتنا وشغلت أوقاتنا بما لا يفيدنا لحقب طويلة.

تكفير المجتمع:

ومن الأفكار التي تسيطر على فريق منا، وتعود إلينا بأفدح الأضرار الأفكار التي تنادي بتكفير المجتمع؛ لأنه لا يحكم بما أنزل الله، ولأن الشهوات تسود فيه، أو بعبارة أخرى: تسود الجاهلية فيه.

والواقع أن الانحراف ظاهرة موجودة في المجتمعات الإسلامية منذ وقت طويل، والجهر بالمعصية ظاهرة واضحة، ولكن وبالمقابل توجد جماعات أخرى تتمسك بدينها، وترفع راية الإسلام فيما تقوم به من أعمال، والأفضل هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة. وهو ما يأمرنا به المولى جل جلاله في كتابه الكريم. يقول تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ «النحل»، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ «آل عمران».

إن تكفير المجتمع وتبرير الخروج عليه وعلى حكومته من الأمور التي جلبت على مجتمعاتنا شروراً كثيرة، وهي تخالف صريح نصوص ديننا القويم، حيث قضت حكمة الله - سبحانه وتعالى - أن يظل الخير والشر يتصارعان في حياتنا، ويجب على المجتمعات الإسلامية أن تقاوم قوى الشر، وأن تدعم قوى الخير، دون استخدام السلاح أو السيف أو السلاح بالمعنى الواسع للوقاية من الفتنة، ولإحلال السلام والأمن في المجتمع، حتى يتجه الأفراد إلى البناء لا إلى الدم.

إن تجديد الفكر الإسلامى يجب أن يتناول هذا البعد الفكرى فى العصر الذى نعيش فيه؛ لكى ننقذ مجتمعاتنا مما يُحاك بها من شرور تُقوِّضْ تقدمها، وتقضى على فئات من أفضل عناصر شبابها، ضلّوا وأضلّوا.

التفسير الخرافى للظواهر:

من العيوب السائدة فى المجتمعات الإسلامية: شيوع التفسير الخرافى للأحداث، والتفسير الغيبى لأمور دنيوية واضحة، وللأسف لاتزال الصحف التى تصدر فى بلادنا تطالعنا يوميًا بما تطلق عليه "حظك اليوم" لتبين ما سوف يحدث لنا، كما أن العديد من حكامنا يلجأون إلى العرّافين ليطلعوهم على ما سوف يحدث لهم فى مصائر الأمم كما كشفت عن ذلك تحقيقات جرت بعد الهزائم التى تعرضت لها دولنا فى صراعها الدامى مع إسرائيل، على سبيل المثال.

كذلك لانزال نرضع أطفالنا أفكاراً تتضمن تفسيراً خرافيًا لكثير من الظواهر والأحداث التى تحيط بنا، فرغم التقدم العلمى الكثير فى اكتشاف الأمراض وما يقتضيه ذلك من عرض المريض على الأطباء، نجد البعض يفسر المرض على أنه مس من الجن، ويجرى وراء من يعقدون جلسات الزار والشعوذة لطرد الشيطان وإخراجه من الجسم. ونشاهد أحداثًا تؤدى إلى وفاة الشخص بدعوى أن من يُضرب هو الشيطان الموجود داخل الجسم، على سبيل المثال كذلك يسود بين صغارنا وكبارنا تفسيراً للشخصية على أساس البرج الذى تنتمى إليه، ويزعم البعض فى كتب تصدر أن هذا التفسير تفسير علمى؛ لأن الشخص يرتبط فى حياته وعمله بالبرج الذى ولد فيه.

ويلعب المنجمون - للأسف - أدواراً مهمة فى مجتمعاتنا، ويتم اللجوء إليهم لاستطلاع الغيب ومعرفة ما سيجرى للإنسان فى مستقبله، وهى أمور تخالف المنهج العلمى فى التفكير وتجعلنا أسرى الجهل والخرافات.

فكر الاتباع :

من العيوب الأساسية التى تحتاج إلى التجديد فى حياتنا : فكر الاتباع . وأقصد به : الانقياد للأفكار القديمة التى سادت فى مجتمعاتنا تاريخيا ، وعدم وضعها فى دائرة التمحيص ، وأعنى أكثر عدم اتباع المنهج الجدى النقدى فى قبول الحقائق ، والتسليم لكل ما يقال ، وهذه من آفات العقل فى المسلم المعاصر .

إننا نحتاج إلى عقلية مفكرة لا تقبل كل ما يأتى إليها ، ولا ينتهكها أى فكر ، وإنما تهضم وتناقش وتقبل أو ترفض وفق الأسس العلمية والفكرية السليمة التى تتكون بها .

إننا نحتاج بالفعل إلى ثورة فكرية تعيد صياغة الطريقة التى تشكلت بها عقولنا ودرجت عليها فى البحث أقلامنا ، طريقة الشرح على المتون ، والتى نتجت عنها طريقة تلقين المعلومات .

رفض الازدواج فى النظر إلى العلوم :

من أهم عناصر التجديد المطلوبة فى الوقت الحاضر ، للقضاء على الازدواج الذى غلب علينا فى فترة من فترات الضعف ، والذى جعل العلماء عندنا يفصلون بين علم دينى وعلم دنيوى ، يحتقرون العلوم المدنية أو الدنيوية ، مع أن الفقه الإسلامى فى سنوات نضجه لم يعرف هذا التمييز ، بل اعتبر أن تعلم العلوم كلها مطلوب ، واعتبر تعلم بعض العلوم المطلوبة لقيام الحياة ، كتشييد المبانى وصناعة الطعام وأدواته ، وكذا الملابس التى يحتاج إليها المسلمون فى حياتهم ، اعتبر هذه العلوم من فروض الكفاية التى يجب أن تتوافر دائما فى المجتمع الإسلامى .

إن العبادة فى الإسلام تعنى أداء أركان الإسلام ، والقيام بالأعمال المطلوبة للحياة ، والعمل الصالح فى الإسلام له مفهوم دنيوى وآخر دينى فى نفس الوقت ،

لذا فإن العلوم الإسلامية خسرت كثيرا بإهمال علوم الدنيا والاهتمام بعلوم الدين من تفسير وفقه وأحاديث فقط.

إن الحضارة الإسلامية كانت دائما عطاءا نابضا بالحياة، وهي ثمرة تاريخ الأمة وإبداعها وعبقريتها، وهي تعنى فن العمل وصناعة الأشياء بدقة، وفن التعامل مع الناس جميعا، والتعارف بين البشر أيا كان لونهم وجنسهم ودينهم، وهي تحتاج إلى تصحيح النظرة إلى العلوم والمعارف والاهتمام بها جميعا وعدم تمييز نوع على آخر.

إننا نعيش في عصر سيطرت فيه القوة الأمريكية على مقدرات العالم. ولم تعد هناك أسرار محجوبة، والسموات أصبحت مكشوفة، وصار بإمكان الدولة الكبرى في العالم أن تعرف ما تريد أن تعرفه من غيرها مهما أمعنت الدول الأخرى في الاحتجاب والسرية.

ولا شك أن الحصول على المعلومات عن التقدم الصناعي والزراعي والإنتاجي بشكل عام صار سهلا، وإن بقي فن التطبيق والتنفيذ تكتنفه صعوبات عديدة.

ولما كان الإنسان يتأثر دائما بما يحيط به من تقدم، بل إن ما يتم من تقدم إنما يكون نتيجة فكر وتجربة ومثابرة للوصول إليه، فإن تغيير نمط التفكير والتعليم السائد عندنا يُعد مطلبا رئيسيا الآن قبل أي وقت مضى، ولاشك أن الثورة المعلوماتية كانت نتيجة تعليم مختلف عن ذي قبل، وثورة في البحث العلمي وفي استثمار نتائجه بشكل واسع عميق.

وهذه التغييرات تحتاج من العالم الإسلامي أن يقوم مكانه في العالم. وينظر في مستقبله إزاء هذه التطورات

ولا نتجاوز الحقيقة إن قلنا إننا نعيش على هامش الحياة، ونستهلك ما يقدم لنا. ولا يد لنا فيه. نستهلك دون أن نستوعب. نستخدم دون أن نملك أو نطور.

أعطانا الله ثروات نقدمها ونحصل على قدر يسير من ثمنها نستهلك به ما يقدم لنا، دون قدرة على الإحاطة به، وسبر أغواره وإنتاجه وجعله يخدم ما نحتاج إليه.

أعطانا الله عقولاً تمكننا من التفوق والتواصل مع تغيرات العصر. ولكننا لا نستخدمها بالشكل الكافى.

كل ذلك مع أننا ورثة الحضارة وأبناء العراقة.

والخلاصة أننا نحتاج اليوم إلى التجديد بمعناه الواسع فى أى مشروع حضارى نقوم به، هذا التجديد يجب أن يتناول التعليم والبحث العلمى، والأطر المساعدة لهما، يجب أن يتناول الفكر والفقه، وطريقة التفكير وأسلوب الحياة، والوسائل التى توصلنا بالمعلومات وبالتقدم المادى والصناعى والزراعى.. إنه تجديد يرتبط بالحضارة وفنون العيش وهو أمر ليس بغريب علينا، فلقد عشناه فى فترات طويلة من حياتنا، والمشروع الحضارى يستهدف التجديد فى إطار مقومات الحضارة وثوابت العقيدة والشريعة.

القسم الثانى

الحفاظ على ثوابت الهوية الإسلامية

لا يمكن لأى فكر تجديدى أن يمارس بدون الحفاظ على ثوابت الهوية الإسلامية. وإلا كان تجديدا فاسدا واجتهاداً لا محل له.

إن هناك. بمعنى أخر. قواعد كلية يجب الحفاظ عليها من قبل المسلمين جماعة وأفراداً، ولعل القرآن الكريم ينبهنا إلى ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (٧) ﴾ «آل عمران». فهذه الآيات المحكمات هى الإطار الثابت الذى لا يجوز المساس به بحال، كما أنه هو الذى شكل ثوابت الحياة الإسلامية والشخصية الإسلامية على مر العصور.

وسنتولى فى هذا القسم من الدراسة استعراض هذا الإطار الكلى الثابت.

أولاً - أركان الإسلام:

«بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» كما قال رسول الله ﷺ.

وهذا هو أهم إطار ثابت للهوية الإسلامية، ولا يجوز بحال من الأحوال أن نناقش فريضة هذا الإيمان، وإن كان يجوز الاجتهاد فى معرفة حكمة فريضته ومنافع القيام به، وكثيرة هى الكتابات التى أوضحت حكمة قيام الإسلام على هذه الأركان.

كذلك يجوز فى باب الزكاة أن نجتهد فى بيان الأموال التى يجب فيها الزكاة وكيفية إخراجها والوجوه الواجب إنفاق الزكاة فيها. كما اجتهد عمر بن الخطاب وأبطل سهم المؤلفة قلوبهم، ويمكن كذلك الاجتهاد فى مدى استمرار سهم «وفى الرقاب» كذلك يمكن بحث مدى وجوب الزكاة على صور من الأموال الجديدة التى لم تكن معروفة وقت اجتهاد الفقهاء وعند نزول القرآن، مثل أسهم الشركات المساهمة. وريع العمارات الكبيرة التى تبنى وتؤجر، وإضافة أنواع أخرى من السائبة، مثل النعام مثلا. وهكذا بل نقول: إن المجتهدين المسلمين يجب أن يقوموا بإعمال عقولهم واستخدام قواعد أصول الفقه كى يصنعوا الأحكام التى تعالج هذه المسائل الجديدة.

ثانيًا - الثوابت فى الفكر الاقتصادى الإسلامى [٤]:

استطاع فريق من مفكرينا فى عصر الصحوة الإسلامية أن يجتهدوا فى إنشاء مؤسسات إسلامية مهمة، مثل البنوك الإسلامية، واجتهدوا كذلك فى صبغ المعاملات التى تتم فى هذه البنوك بالصبغة الإسلامية، ومن الطبيعى أن تحارب هذه البنوك لأنها تأتى على خلاف السائد فى التعاملات الدولية، ولأنها تجعل المسلمين يمتلكون الأموال ويحركونها فى العصور الحديثة. وهى مسائل لم يقبلها الاستعمار الغربى فى أشكاله القديمة أو الحديثة، بل لم يقبل أن يكون العالم الثالث بكامله سوى دولا مدنية. رغم أنها تنتج المواد الخام، وتستوعب الكثير من منتجاته.

والتحديات فى هذه المسائل قوية ومهيمنة. فإما اتباع المنهج الغربى فى التفكير وفى الاستثمار، وبالتالى فى التبعية وإلا الحرب.

لقد سقط نظام الفوائد الغربية الذى يخلق أموالا بدون مقابل. ويؤدى بذلك إلى التضخم إلى خلق مشكلات كبيرة فى النمو والاستثمار، ومع ذلك فمنا من

٤ العولمة واقتصاد العالم الإسلامى للدكتور أحمد محمد على، نشر رابطة الجامعات الإسلامية. ص ١٢٩ وما بعدها.

يحاول مخالفة الثوابت الإسلامية، ومهمة الثوابت الإسلامية هنا تتمثل فى المحافظة على التمييز بين الحلال والحرام. وعدم استغلال الغير. وإذا كنت هنا لا أدخل فى بحث فقهى فى هذه القضايا المعقدة. إلا أننى أستطيع أن أشير إلى الثوابت التى يجب أن يحترمها أى مفكر وأى مجتهد.

١ - أن يحترم القواعد القرآنية الخاصة بحل البيع والشراء وتحريم الربا. حيث يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (٢٧٥) ﴾ «البقرة».

وبناء على ذلك يجب تحريم كافة المعاملات التى تقوم على الاستغلال بكافة صوره، ويجب أن تسود روح المودة والرحمة التى أشاعها الإسلام فى كافة أحكامه والتى تتجلى فى المعاملات فى قواعد كثيرة مثل قاعدة: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) ﴾ «البقرة».

وقاعدة حقوق المسلمين جميعا فى الحصول على قدر من الثروة التى تتواجد فى الجماعة إعمالا لقوله تعالىٰ بشأن توزيع الثروة والمال: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ «الحشر».

٢ - وجود حقوق ثابتة للفقراء فى أموال الأغنياء إعمالا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) ﴾ «الذاريات».

وتوجد قواعد محددة فى الشريعة لتوزيع أموال الأغنياء على الفقراء المحتاجين بسهام محددة، وفى وجوه معينة كما هو ثابت فى الشريعة.

٣ - كذلك يجب أن يتميز الاجتهاد فى مجال المعاملات بقواعد شرعية أساسية مثل قاعدة" المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا" وقاعدة: «الحكم على الشئ فرع عن تصوره».

إن المجتهد فى مجال الفقه واستنباط الأحكام الشرعية يجب أن يكون دقيقا للغاية، ولا يتسرع فى استنباط حكم شرعى إلا بعد الإلمام بكل ما يتصل به. وبكافة وجوهه، كما أن تجنب الشبهات من المسائل الأساسية التى تحكم المجتهد إعمالا لقول الرسول ﷺ: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات كثيرة. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات يوشك أن يقع فى الحرام".

٤ - كذلك تقوم المعاملات الإسلامية على قواعد مهمة، مثل: تحريم الاكتناز، وضرورة تداول المال بين الجماعة حتى تستفيد منه مختلف طوائف الأمة.

ومطلوب من المجتهدين أن يستنبطوا قواعد جديدة تحكم توزيع ثروة النفط بين المسلمين جميعهم، والاستفادة منها فى خدمة الجماعة الإنسانية.

التكامل الاقتصادى:

إننا إذا كنا نتحدث عن الثوابت الإسلامية التى تحافظ على الهوية فى المجال الاقتصادى. فإننا يجب ألا ننسى أن المشكلات التى تحيط بالأمة كبيرة جدا فى هذا المجال. وهناك قواعد أساسية ترتبط بالهوية تتطلب الكثير مما لم نفعله حتى الآن. إن الإسلام يأمرنا بأن نتحد ويمنعنا من الفرقة، وهو أمر يحتاج إلى أن ندخل فى أشكال قضائية وتوحدية تلاءم روح العصر، نحن فى عصر التكتلات الاقتصادية المختلفة و التى ارتقت بالإنتاج فى الدول التى أخذت بها - كالاتحاد الأوربى - إلى حد كبير وهى أقل مما يطلبه الإسلام من المسلمين.

يقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(١٠٣) ﴿ آل عمران ﴾.

كذلك سيدخل الاقتصاد لمختلف الدول الإسلامية فى مراحل ندرة المياه، ونهاية عصر النفط، ويجب على المسلمين أن يجتهدوا لإيجاد الوسائل لمواجهة هذه المشكلات.

ثالثًا - الثوابت الحضارية للأمة:

ولعل من أخطر ما يواجه الأمة الإسلامية، والسمات الأساسية المميزة للأمة الإسلامية فى المرحلة المقبلة مشكلة العولمة - كما ذكرنا - والاجتهاد الواجب بذله لمواجهتها، إذ يجب أن يتسع لتقوم به مختلف المنظمات والمؤسسات الدولية الإسلامية فضلا عن الجامعات.

إذا كان علينا أن نفتح السماوات لاستقبال العلوم والثقافة والمعارف، بل والترفيه أحيانا. إلا أننا فى هذا الجانب مغبونون ويجب أن نوقف الغبن الذى نتعرض له. إن هذا الاستقبال يحمل ثقافة وفكرا آخر يحاول أن يهمش الشخصيات التى تستقبله، ويجعلها أداة طيعة فى يده. إنه تغليب إرادة على إرادة. وثقافة على ثقافة، وهى هدف الحروب التى تتم الآن بوسائل أخرى أسهل وأقل سفكا للدماء، وأسهل فى التسرب إلى العقول و القلوب دون أن تجد مقاومة تذكر.

لذا فإن هناك جهدا كبيرا يجب أن يبذل فى المقاومة، وفى ترتيب أمور الفكر والثقافة والحضارة الإسلامية لمواجهة هذا الزحف، إن الأمة الإسلامية بها قيادات فكرية قادرة على التعبير عن الفكر والحضارة الإسلامية. ولكن تعوزها الوسائل للوصول إلى الأجهزة وإلى المجالات التى يجب أن تعمل فيها، لكن آن الأوان لتبذل جهود كبيرة فى سبيل حماية اللغة العربية وإظهار ذخائرها وتعريب مختلف العلوم.

إنه لا سبيل إلى حماية التراث إلا بالاهتمام باللغة التى هى وعاء الدين، والعقيدة والحضارة. كذلك فإن المسئولين عن المحطات الفضائية دولا وشركات

وأفرادا عليهم أن يشاركوا فى إنتاج أعمال علمية وإعلامية تعبر عن تاريخ الأمة وقيمها التى هى منابع حضارتنا لقد استطاع كُتاب مثل مصطفى صادق الرافعى، وأحمد حسن الزيات، والكواكبى، وطه حسين، وغيرهم.. وغيرهم أن يكتبوا أعمالا من صميم التراث الإسلامى وهى جهود لا نجد مثلها كثيرا الآن، وهى مطلوبة بشدة فى زمننا الحاضر بعد أن تملكنا العديد من القنوات والمحطات الفضائية. لكن للأسف لا يوجهها رجال يعرفون الله ويتقونه، إن تخلف الرسالة الإسلامية الإعلامية تحتاج إلى جهود جبارة لإعادة النظر فيها وتوجيهها لحماية ثقافة الأمة، وإخراج كنوزها وبثها فى كافة وسائل الإعلام.

رابعًا - الثوابت فى تطوير التعليم :

وإذا كنا ننعى التخلف فى مجال التعليم، ونطمح إلى وضع برامج لتجاوز التخلف، إلا أن هناك ثوابت نكاد نهملها بالمرة، فليس تعلم اللغة الأجنبية لأطفالنا منذ نعومة أظفارهم هو أسلوب الرقى فى التعليم، بل إن تكوين السمة الإسلامية للطفل المسلم يحتاج إلى التركيز على لغته العربية وثقافته الإسلامية فى السن المبكرة مع الاهتمام بتعلم لغة أجنبية بعد ذلك.

كذلك نحتاج إلى أن يظل الطالب - مهما كان تعليمه - على صلة بمصادر عقيدته وثقافته وحضارته، وتدريس مناهج طوال فترات دراسية، ويجب أن تتضافر جهود العلماء والخبراء فى التعليم على صياغة مناهج هذه المواد ووضع المحتويات التى تحقق أهداف الأمة.

كما أننا نحتاج إلى الاجتهاد العلمى لقيادة مشروع التعليم فى بلادنا فى كافة النواحى العلمية مع مراعاة الآتى :

١ - إقامة تعاون بين كل الجامعات فى العالم الإسلامى كى تستفيد كل جامعة مما

تحققه الأخرى من تقدم، وإباحة كل ما ينجز من عمل علمى لكى يكون أمام كل العلماء و الباحثين فى كل الدول الإسلامية.

إن وسيلة البحوث المشتركة بين كل الجامعات وسيلة يجب أن نسارع بتحقيقها بشكل عاجل، كما أن التعاون فى مجال النشر المشترك من أهم ما يجب أن نقوم به بشكل عاجل.

٢ - يجب تنقية المناهج من كل ما يتعارض مع حقائق الدين، ويخالف أصول العقيدة - كالقول بأن الطبيعة هى التى خلقت الحياة، أو نظريات "داروين وفرويد" فى تفسير وجود الإنسان وتطور نشأته، وغرائزه وحاجاته... إلخ.

٣ - التعاون فى تعريب العلوم خاصة العلوم الطبية والهندسية وسائر العلوم التى لم تعرب حتى الآن.

٤ - إقامة تعاون وثيق بين جامعات العالم لتحقيق الاستفادة المتبادلة من وجود الإنجازات والتقدم العلمى.

٥ - يجب إحياء إسهامات العلماء المسلمين فى مختلف المجالات، و التكملة عليها، وإيجاد اجتهادات يحتاج العالم إلى الاجتهاد الجديد فيها، مثل جامعات الطب البديل، وإيجاد عقاقير من الطب النباتى الذى نجح المسلمون فى التعامل به، وعلاج مختلف الأمراض بها.

وفى الواقع أن هذه المسألة من أهم المسائل التى نحتاج إليها بالتأكيد على شخصية الأمة والاعتزاز بتراثها والتكملة عليه بعد أن أهملناه كثيرا، وعشنا فقط ننتظر ما يقدمه الغرب لنا لنأخذه دون هضم ودون تقديم إضافة تذكر حتى صرنا مستهلكين لكل شىء ولا ننتج شيئا له قيمته.

خامسا - القيم العليا فى المنهج الإسلامى :

على أننا ونحن نتحدث عن التجديد، لابد لنا أن نتذكر أن الإسلام يقيم منهجا للحياة لا تستقيم الأمور بتجاهله وإذا بعدنا عنه فشلنا، ويجب أن نعض بالنواجز على ما جاء بالقرآن الكريم وبسنة نبيه ﷺ وكما يجب أن نركز على الجانب العلمى من العقيدة والشريعة والذى أخرج للعالم أمة قوية ذات أخلاق.

إن ما يميز الإسلام والحضارة الإسلامية الجانب المعنوى فيها، ذلك الجانب الذى يخاطب الروح والقلب والنفس، ويهديها إلى صراط العزيز الحميد.

إن هذا الذى يجب ألا ننساه أبدا ونحن نقدم اجتهاداتنا للعالم لأنه هو الذى يميزنا عن غيرنا، لقد بُعث النبى ﷺ برسالة خاتمة جعلت المسلمين العقل الجديد الذى وضع العالم لتمييزهم بين الحق و الباطل، وجعلهم ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها، وإنهم إذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون، إنهم تقدموا فى الدنيا حاملين السلاح والأخلاق فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك فإن أسلحتهم نفسها ذات أخلاق.

لقد اندفع الدين الإسلامى بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء، طبيعة تعمل فى طبيعة، إننا لا ينبغى أن نفهم متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه و الحاجة إلى حلاله وحرامه، ومن ثم نندفع إلى الدنيا ونتكالب عليها. وإنما فهم المسلمون دائما متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه والتمييز بين حلاله وحرامه.

لقد أوجد النبى ﷺ أمة طبيعية بفطرتها كأن عملها فى الحياة إيجاد الأفكار العملية الصحيحة التى يسير بها العالم [1].

---

١ نقل بنص من كتاب: (وحى القلم) لمصطفى صادق الرافعى مكتبة الإيمان بالمنصورة. ص١٢ وما بعدها.

إننا أصحاب رسالة وحاملوا دعوة للناس جميعا لهدايتهم إلى معرفة الإله الواحد، والسمو بالنفس الإنسانية وتعويدها الضبط. وعمل صلة وثيقة بين الأرض والسماء؛ لمعرفة الخالق والخشوع له، ومعرفة حلاله وحرامه، وبذل النفس فى سبيل رفعة الإنسانية ورقيها وإخراجها من الظلمات إلى النور.

إننا نسعى إلى بث قيم عليا فى حياة البشر تقوم على احترام العدالة والإنصاف، ونصرة المظلوم وتحقيق المساواة بين الناس، والتراحم بينهم. وسيادة التكامل الاجتماعى بين الناس، والتجديد يحتاج إلى إحياء هذا الفكر فى حياتنا المعاصرة، وإنقاذ العالم الذى نعيش فيه من ظلمات الضلال والجهل والفتنة.

إن العالم الذى نعيشه تجتاحه رياح عاصفة تجعل القوة هى المعيار الحقيقى للتميز، وتجعل حيازة هذه القوة هى هدف الحياة وعلى حساب كل شئ؛ مما يهدد الحياة على هذه الأرض؛ لذا فإن رسالتنا هى إبدال ذلك بعناصر معنوية، تعلو بالإنسان واهتماماته وتجعل متطلباته تتصل بتحسين الحياة على الأرض، وابتغاء وجه الله والآخرة فى كل ما نقوم به من أعمال.

ونخلص من هذا أن المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى التجديد فى كافة نواحى الحياة، تجديد الفكر، والفقه، والعلم والسلوك. فلابد من التسليم بأن التخلف والفرقة هى أوضح السمات التى تميزنا الآن، ولقد أوضح البحث أن التجديد يجب أن يشمل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى لوصل ما انقطع من قانون الأمة. ومواصلة استنباط الأحكام التى تحكم المشكلات المستجدة والمستمدة فى حياتنا.

ومع ذلك فقد أوضحنا أننا نحتاج إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية فى إطار هذا التجديد، وتستمد الهوية الإسلامية مصادر الحفاظ عليها من القرآن والسنة واللغة والحضارة الإسلامية وقد أوضحت هذه الأوراق أننا فى حاجة ماسة إلى إخراج القيم العليا والمثل التى شكلت الشخصية الإسلامية من هذه المصادر، كما أثبتت

ذاتية الحضارة الإسلامية - روحية ونفسية - أنها تهتم بالارتقاء بالإنسان وتهذيب سلوكياته ورفع معنوياته، وكلها أسس تفتقدها الحضارة الغربية وتحتاج إليها بشكل قوى (٥).

إننا نحتاج إلى بعث تراثنا العلمى والفكرى وأن نواصل البحث فيه وتكملته، كما أننا نحتاج إلى ضبط السلوك الاقتصادى للعالم المتردى بالثوابت الإسلامية التى تحقق عدالة التوزيع، وسلامة العمل الاقتصادى، كما أثبتت الأوراق أهمية الوحدة الاقتصادية فى الحياة المعاصرة.

٥ - راجع ذلك مفصلا فى: الحفاظ على الهوية الإسلامية فى إطار التجديد للمؤلف. منشور فى كتاب التجديد فى الفكر الإسلامى، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٢م. ص ٧٦١ وما بعدها

obeikandl.com